Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 9, 2026, 10324

Deanship of Scientific Research

Conversational Implicature in the Communicative Discourse between Allah and Iblis

Fatima Mohammed Alkaabi*

Department of Arabic Language and Literature, College of Humanities and Social Sciences, United Arab Emirates University, Abu Dhabi, UAE.

Received: 6/1/2025
Revised: 17/2/2025
Accepted: 19/3/2025
Published online: 10/6/2026

* *Corresponding author:*
Fatima-mo.alkaabi@ese.gov.ae

Citation: Alkaabi, F. M. (2026). Conversational Implicature in the Communicative Discourse between Allah and Iblis. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(9), 10324. https://doi.org/10.35516/Hum.2026.10324

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to uncover the implied meanings resulting from conventional implicature or from the violation of Grice's maxims. This is achieved by applying the theory of conversational implicature to the communicative discourse between Allah (Glorified and Exalted be He) and Iblis in four passages of the Quran: Surah Al-A'raf, Surah Al-Hijr, Surah Al-Isra, and Surah Sad.

Methods: This study follows a pragmatic approach, employing an analytical and inductive methodology to answer the core research questions: How does conversational implicature manifest in the discourse between Allah and Iblis? Where does conventional implicature occur? What are the implied meanings resulting from Iblis' violation of the cooperative principle?

Results: The research concludes that conventional implicature is realized in Allah's discourse with Iblis. In contrast, Iblis violates Grice's maxims in his speech with Allah in multiple instances, leading to implied meanings centered on condemnation and threats. Additionally, Iblis' speech is marked by a lack of politeness and decorum, which ultimately resulted in his expulsion from Allah's mercy.

Conclusions: The study concludes that the original meanings in the discourse between Allah and Iblis extend to implied meanings. Iblis deviated from the principles of effective communication and violated multiple cooperative principles, which helped reveal many of his negative traits. On the other hand, conventional implicature was achieved in Allah's discourse with Iblis, with implied meanings revealed through contextual analysis.

Keywords: Conversational implicature, communicative discourse, Allah, Iblis, Grice's maxims.

الاستلزامُ الحواريُّ في الخِطابِ التّواصُليّ بيْنَ اللهِ و إبليس

فاطمة محمد الكعبي*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ابوظبي.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى الكشف عن المعاني المستلزمة النّاتجة عن الاستلزام النّموذجيّ، أو الناتجة عن خرق قواعد غرايس، وذلك من خلال تطبيق نظرية الاستلزام الحواريّ في الخطاب التواصلي بين الله -عزّوجلّ- وإبليس، في أربعة مواضع في القرآن الكريم، هي سورة الأعراف، وسورة الحجر، وسورة الإسراء، وسورة (ص).

المنهجية: يُعدُّ هذا البحث دراسة تداوليّة، تتَّبع المنهج التّحليليّ الاستقرائيّ، للإجابة عن أسئلة البحث الجوهريّة وهي: كيف ظهر الاستلزام الحواريّ في الخطاب بين الله ﷻ وإبليس؟ أين تحقّق الاستلزام النّموذجيّ؟ ما المعاني المستلزمة النّاتجة عن خرق إبليس لقواعد مبدأ التّعاون؟

النتائج: توصّلت في هذا البحث إلى تحقّق الاستلزام الحواريّ النّموذجيّ في خطاب الله تعالى لإبليس. بينما خرق إبليس قواعد مبادئ غرايس في خطابه مع الله ﷻ في أكثر من موضعٍ، فنتج عن ذلك معانٍ مستلزمة، دارت حول الاستنكار، والتّهديد، ناهيك عن خرقه لمبادئ التأدّب والتهذّب، مِمّا كان سببًا في طرده من رحمة الله تعالى.

الخلاصة: انتهى هذا البحث إلى نتيجة مفادها خروج المعاني الأصلية في الخطاب بين الله تعالى وإبليس إلى معانٍ مستلزمة، وأن إبليس تجاوز في خطابه مع الله تعالى قواعد التواصل الفعّال، وخرق الكثير من مبادئ التعاون، ممّا أسهم في الكشف عن الكثير من صفات إبليس اللعين، في حين تحقّق الاستلزام النموذجي في حوار الله تعالى لإبليس، وخرج إلى معانٍ مستلزمة كشفها السياق.

الكلمات الدالة: الاستلزام الحواريّ، خطاب تواصليّ، الله، إبليس، قواعد غرايس

مقدمة

نظرية الاستلزام الحواريّ التي وضَعها اللغوي بول غرايس، واحدة من أهم النظريّات في التّداوليّات اللّسانيّة، التي عنيت بالخطاب، واهتمّت بالتّعاون الحواري بين المتخاطبين، فلم تحصر معاني الحوار في الألفاظ الظاهرة والمعاني الأصلية، بل بحثت في المعاني الضمنيّة المستلزمة وفق مبدأ التّعاون. وبالإمكان الإفادة من هذه النظرية في دراسة النص القرآني، وما فيه من خطابات، شريطة مراعاة خصوصية هذا النص المقدّس، الذي يختلف في بنيته ومقاصده عن الخطاب البشري. ووجب التنويه إلى أنّ تحليل الحوار بين الله سبحانه وتعالى وإبليس وفق هذه النظرية لا يعني إخضاع الخطاب الإلهي لنفس القوانين التداولية التي تحكم تواصل البشر، وإنما يهدف إلى استجلاء أبعاد التفاعل اللغوي في سياقه القرآني، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الخطاب الإلهي خطابٌ موجّهٌ ومهيمنٌ، وليس خطابًا يخضع لقواعد التفاعل العادي. ومن هذا المنطلق، فإن هذا النوع من الدراسات يمثل إضافة علميّة ومنهجيّة لا تتعارض مع مكانة القرآن الكريم وقداسته، بل تسهم في الكشف عن بعض الدلالات الضمنية التي يحملها الخطاب القرآني وفق سياقاته الخاصة.

لذا يركّز هذا البحث على تطبيق نظرية الاستلزام الحواري على الحوار القرآنيّ، مُتمثِّلًا في الخطاب بين الله ﷻ وإبليس، وجاء هذا الحوار في عدّة مواضع من القرآن الكريم، لكنّي اخترت أربعة مواضع، هي: سورة الأعراف، وسورة الحجر، وسورة الإسراء، وسورة (ص)، لتحقّق الخطاب فيها، فالحوار في هذه المواضع جليٌّ وواضحٌ عكس مواضع أخرى مثل سورة البقرة، التي تناولت هذا الحوار سردًا، لم تتجلَّ فيه عناصر الخطاب. وهذه الحواريّات تكشف الأسباب التي استحقّ بسببها إبليس الطّرد من رحمة الله، وتبرز عواقب التّكبّر والتّمرّد وعصيان الخالق ﷻ، كما تبرز في المقابل عَدالة الله في محاورة إبليس، ومنحه الفرصة لتوضيح سبب عصيانه.

ارتأيت في بحثي ألّا أفرد كل وحدة حواريّة بالتّحليل، بل حلّلت الخطاب على أنّه حوارٌ واحدٌ حتّى لا أقع في تكرارٍ قد يسأم منه القارئ، وتناولت مفاصل الخطاب ضمن ما خُرِقَ من قواعد التّعاون فيها، مع الإشارة إلى مواضع الاختلاف بين حواريّة وأخرى.

أهدف من هذا البحث إلى تطبيق الاستلزام الحواريّ على الخطاب التّواصليّ بين الله وإبليس، لإبراز النّظريّة، والكشف عن أشكال تحقّقها، والمعاني المستلزمة النّاتجة عنها. وذلك للإجابة عن أسئلة البحث وهي: كيف ظهر الاستلزام الحواري في الخطاب بين الله وإبليس؟ أين تحقّق الاستلزام النّموذجيّ؟ ما المعاني المستلزمة الناتجة عن خرق قواعد مبدأ التّعاون؟

لذا تطلّب البحث أن يتكوّن من مبحثين: الأوّل، وهو مبحثٌ نظريٌّ، توجّهت فيه إلى التّعريف بنظريّة الاستلزام الحواريّ من خلال شرح مبدأ التّعاون عند غرايس، وما يتفرّع عنه من قواعد. والثّاني، مبحثٌ تطبيقيٌّ، حلّلتُ فيه الخطاب التّواصليّ بين الله ﷻ مع إبليس، وقسّمته وفق الآتي: الاستلزام الحواريّ النّاتج عن خرق قواعد مبدأ التّعاون، والاستلزام الحواري النّموذجيّ.

أمّا عن الدّراسات السّابقة حول الاستلزام الحواريّ فهي كثيرة، لكنّي اعتمدت كتاب العياشي أدراوي (الاستلزام الحواريّ في التّداول اللسانيّ)، ومن الكتب المهمّة التي عنيت بهذه النظريَّةِ كتابُ (الاستلزام الحواريّ نحو مقاربة تداوليّة معرفيّة للخطاب القرآنيّ) للدكتورة جنان البلداوي. أما حول تحليل الخطاب بين الله وإبليس فلم أجد، في حدود اطّلاعي، دراسة اختصّت بتحليل هذه الظّاهرة، بينما هناك تحليلاتٌ كثيرةٌ لحوارات قرآنيّة أخرى.

لا شكَّ أنَّ الحوار بين الله وإبليس في القرآن الكريم من الموضوعات الغنيّة في الخطاب التّداوليّ، وتستحق التّأمّل والدّراسة من منظور أدبيٍّ ولسانيٍّ، لأنّها تكشف عن معانٍ عميقة غير مصرّح بها في أثناء الحوار، ودلالات غير ظاهرة على سطح الكلام تقدّم الشخصيات، وتظهر عواطفها وتكشف مشاعرها النفسيّة.

هذا اجتهادي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

المبحث الأوّل: مفهوم الاستلزام الحواريّ

تُعدُّ نظرية الاستلزام الحواريّ عند غرايس Grice.P.H (ت 1988م) واحدة من أهمّ مساهماته في علم اللّسانيّات، وجاءت ضمن مقالته (المنطق والمحادثة)(Logic and conversation) ولا يمكن فهم نظريّته بمنأى عن جذورها التي تشكّلت عند أوستين Austin.J في نظريّة أفعال الكلام، وعند سيرل Searle في إعادته صياغة أفعال الكلام، فجهود هذين اللغويّين كانت الأساس الذي مهّد لغرايس نظريّة الاستلزام الحواريّ.

صاغ أوستين نظريّة أفعال الكلام في سلسلة محاضرات نُشرت عام 1962 بعد وفاته، تحت عنوان "كيف ننجز الأشياء بالكلام" How to Do Things with Words، وقامت على معارضته للموقف الفلسفيّ الّذي يُقِرّ بأنّ دور الجمل ينحصر في وصف حالة الأشياء، أو إقرار حدث ما، وفق معيار الصّدق والكذب. ومعارضته كذلك للوصف النّحويّ التقليديّ الذي ينوّع في الجمل وفق ثلاثة أنماط: الجمل الخبريّة، والجمل الاستفهاميّة، والجمل الطلبيّة (العياشي، 2011، 78). من هنا أطلق أوستين نظريّته التي تذهب إلى أنّ "العبارات اللغويّة لا تنقل مضامين مجرّدة ونمطيّة، وإنّما تختلف حسب عدّة عوامل منها السّياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخّل في تحديد دلالة اللفظ وقوّته"(العياشي،2011،79)، فمعاني الكلام لا تتحقّق بما تعنيه الملفوظات فقط، فهناك السّياق الذي قيلت فيه، وهو يلقي بظلاله - لا شكّ - على المقصود من الكلام، ويضفي معاني

جديدة لا تحملها الملفوظات. لذا فإنّه يرى أنَّ "وظيفة اللغة هي استعمال وإنجاز لمجموعة من الأفعال اللغويّة" (بوقرة،192)، وبذلك يكون قد تجاوز الفكرة القائلة بأنّ اللغة وظيفتها الوصف أو نقل المعلومات، إلى القول بأنّ للّغة دورًا أكبر من ذلك، وهو إنجاز الأفعال، لذا سُمّيت فرضيّة أفعال الكلام بفرضيّة الأفعال الإنجازيّة، ولا شكَّ أنّ هذه النّظرة للغة أسهمت في إحداث تحوّل جذريٍّ في فهم اللغة.

تبلورت جهود أوستين في تقسيمه الأفعال اللغويّة إلى: **فعل القول**، ويتكوّن من الفعل الصّوتيّ والتّركيبيّ، والدّلاليّ، **والفعل الإنجازيّ**، وهو الّذي يقوم به المتكلّم في أثناء تلفّظه، ويعطي قيمةً للكلام، **والفعل التّأثيريّ**، وهو الأثر الذي يُحدثه الكلام لدى المخاطَب (العياشي،2011،86). وقد أولى أوستين لإحساس المتكلّم وتفكيره ونواياه أهميةً كبيرةً في تحليل الخطاب، وأن يكون للمشاركين في الكلام القصد والنيّة(أوستين،53)، ففي "صيغة الأمر اذهب، لا ندري ما إذا كان المتكلّم يأمرنا، أو أنّه ينصحنا أو يتوسّل إلينا على وجه الاستعطاف"(أوستين،79). لذا فقد اهتمّت نظريّة أفعال الكلام اهتمامًا بقصد المتكلّم، "فالقصد يحدّد الغرض من أيّ فعلٍ لغويّ، كما يحدّد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغويّة التي يتلفّظ بها، وهذا ما يساعد المتلقّي على فهم ما أُرسل إليه" (بوقرة،190)

وقد تطوّرت نظريّة أفعال الكلام لاحقًا على يد اللغويّ سيرلSearle في كتابه (الأفعال اللغويّة) الذي صدر عام 1969م، فقد كانت له إسهامات مهمّة، بعد اعتراضه القائل بأنّ تقسيمات أوستين "عبارة عن تقسيم لألفاظ الأفعال الموضوعة للدّلالة على الأفعال الكلاميّة وليس نظرة إلى ذات تلك الأفعال"(بوقرة،194)، لذا ميّز سيرل بين "فعل القول، والفعل المتضمّن في القول"(العياشي،194)، أو ما يُسمى بالفعل القضوي، وحدّد الشّروط التي تسهم في نجاح الفعل اللغويّ.

وبينما ركّز كل من أوستين وسيرل جهودهما على الفعل اللغويّ المباشر وغير المباشر، يأتي غرايس ليركّز على الفعل اللغويّ غير المباشر، "ويميّز في نظريّة الأفعال اللغويّة بين القوة الإنجازيّة الحرفيّة، والقوة الإنجازية المستلزمة" (العياشي،96)، فالقوة الأولى هي المعاني المباشرة، التي يعبّر عنها المقال، سواء بصيغة الأفعال أو الاستفهام وغيره، فإذا قلت لك (أغلق الباب) فالقوّة الحرفيّة هي الأمر، أما القوّة المستلزمة فهي المعاني المُضمّنة غير المُصرّح بها، التي تتجاوز المعنى الحرفيّ للجملة، ففي جملة مثل: (هل يمكنك أن تغلق الباب؟) تكون القوة الحرفيّة هي الاستفهام بينما القوة المستلزمة هي الأمر.

من هنا جاءت نظريّة الاستلزام الحواريّ لِتُعنى بكيفيّة استنباط المعاني الخفيّة غير المُصرّح بها في الحوار بناءً على مبدأ التّعاون، وَمفادُهُ أَنّهُ على المتحاورين التّعاون لفهم المطلوب (العياشي، 97)، أي أنَّ المتحاورين عادةً ما يتبعون مجموعة من المبادئ الضمنيّة التي تساعدهم في تفسير وفهم المعلومات بطريقة صحيحة، ومبدأ التّعاون كمّا لخّصه غرايس:"لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلّبه منك، في المرحلة التي تجري فيها، ما تم ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها"(غرايس،163). ومنطلق غرايس في هذه النظرية هي أنَّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون.

يحدث الاستلزام الحواري عندما يُعبّر المتكلم بشكلٍ غير مباشرٍ عن معنى لا يتضمّنه النّصُّ الحرفيُّ/ المقاليّ للكلام، ولكن يُفهم من خلال السّياق وتوقّعات المخاطَب. على سبيل المثال، إذا قال شخص: المكانُ حارٌّ، قد يستلزم أنه يطلب بطريقةٍ غير مباشرةٍ فتح جهاز التّكييف.

تثبت هذه النّظريّة أنّ اللغة لا تعمل على مستوى المعنى الدّلاليّ الصّريح فحسب، بل تعمل كذلك على مستوى التّداول والتّفاعل الاجتماعيّ بين المتحاورين، وهُنا فرّق غرايس بين الفعل (قال) والفعل (استلزم)، فقد يكونُ هناك فرقٌ بين ما يقوله الشّخص (المعنى الاصطلاحيّ للجملة) التي يتلفّظ بها، وبين (المعنى الوضعيّ للكلمات المستعملة) (غرايس،619).

ووضع غرايس أربعة التزامات يُفترض أن يلتزم بها المتحاوران لضمان نجاح المحادثة، وهذه الالتزامات تعرف باسم مبادئ المحادثة أو قواعد غرايس، وهي آليات استدلالٍ للبحث في مضامين الحوار، وهي:

1. **الكمّ**: ويُقصد به عند غرايس "كميّة المعلومات التي ينبغي توفيرها"(غرايس،619)، فلا تكون المعلومات أقلّ ولا أكثر ممّا هو مطلوب. فإذا سألتك: كم السّاعة الآن؟ وأجبت: إنّها الثّالثة مساءً، فأنت ملتزم بمبدأ الكميّة، ولكن إذا سألتك: هل أنت متزوج؟ وأجبت: نعم، ولدي ثلاثة أبناء، وأعمل في شركة، فتكون بذلك خرقت مبدأ الكميّة. وأسهبت في إجابة غير مطلوبة. "فالإفراط في المعلومات قد يكون مُضلِّلاً؛ لأنّه قد يثير مسائل هامشيّة"(غرايس،616)، ولا يقبل غرايس أن نعدّ الإطالة في تقديم المعلومات من باب إضاعة الوقت، ففي تقديم معلومات إضافية، معانٍ تتجاوز نقل المعلومة، إذ قد يسعى المتكلم إلى تحقيق هدف معين من وراء الإطالة والتفصيل في الكلام، ويمكن الاستشهاد على ذلك بجواب موسى عليه السّلام في ردّه على سؤال الله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾، إذ أجاب: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (طه،17-18). فجواب موسى عليه السلام لم يقتصر على ذكر العصا، بل أطال في الجواب وفصّل فيه مما يُظهر بُعدًا بلاغيًّا وبيانيًّا.

2. **الكيف**: وله قاعدة عليا حدّدها غرايس في قوله "فلتكن مساهمتك في هذا الموضوع صادقة، لا تقل ما تعتقد أنه كذب /خطأ، ولا تقل ما تفتقر

الحجة الكافية عليه"(غرايس،616). فإذا قال أحدهم: الطّقس في اليابان مشمسٌ اليوم. فهو قدّم عبارة تحتمل الكذب، وغير مدعمة بدليلٍ كافٍ. ويتمّ عادةً خرق قاعدة الكيف، حسب غرايس، عن طريق: التّهكّم (دخل الفيلسوف) للتّهكّم من رجلٍ متحذلق، والاستعارة كما في اللغة العربيّة (القمرُ يجلسُ بيننا) في تشبيه فتاة جميلة، والتّلطيف (حدث خيرٌ) في تلطيف جوّ متوتر إثر مُشاجرة، والمبالغة كقولنا (كلّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة).

3. **النّسبة أو الملاءَمة:** وقاعدتها عند غرايس:"قل ما له صلة بالموضوع" (غرايس،616)، لا تخرج عن الموضوع. فإذا قيل في مجلسٍ: فلانٌ يكذب، ثم تدّخل أحدهم وقال: الجوّ جميلٌ في الخارج، فُيلاحظ عدم وجود علاقة بين الجملتين، مِمّا يستلزم معنًى آخر هو عدم الخوض في الجملة الأولى، وتغيير الموضوع إلى نقطةٍ أخرى لما وقع من إحراجٍ.

4. **الطّريقة**: يوضّحها غرايس في قواعد محدّدة هي: تجنّب الغموض، وتجنّب الإبهام، وتحرّ الإيجاز، ورتّب كلامك. فإذا اشتمل كلامك على كلمة لها معنيان، دون وجود قرينة، فقد وقعت في غموضٍ قد يُسبّب لبسًا في فهم المعنى الصّريح. والهدف من هذه القواعد "تجنّب الاضطراب والملل والإيجاز المُخِلّ في القول"(العياشي،100).

تعدّ هذه المبادئ نموذجًا لكيفيّة الاتّصال الفعّال في أيّ حوارٍ لدى غرايس، وينتج الاستلزام الحواريّ عندما يَنْتَهِكُ المتكلّمُ إحدى هذه المبادئ عمدًا، وبالتّالي يضطر المستمع إلى استنتاج معنى آخر غير المعنى الحرفيّ. "على اعتبار أنّ الاستلزام الحواريّ ينجم عن خرق قاعدة من القواعد الأربع مع عدم التّخلي عن مبدأ التّعاون" (العياشي،102)، وهذا ما يُسمى بالاستلزام الحواريّ النّاتج عن الإخلال بالقواعد.

أما إذا لم يحدث خرق لإحدى تلك القواعد، وعلى افتراض تحقّق مبدأ التّعاون، فهذا ما يُطلق عليه الاستلزام النّموذجيّ، ويكون المتكلّم قد راعى القواعد والقوانين تاركًا مهمّة توسيع وإبراز ما قيل إلى استدلالاتٍ مباشرة انطلاقًا من مراعاة المتكلّم للقواعد(العياشي،112).

وقد أكّد غرايس عدم عشوائية أو اعتباطيّة الاستلزامات الحواريّة، فهي "أوصافٌ عقليّة منطقيّة وُضعت لقيادة التّعاون المتبادل في الحوار"(العياشي،113)، أي أنّها تخضع لقواعد وتوقّعات مشتركة تجعل التّواصل مُمكِنًا وفعّالاً، يستخدم فيها المتحاوِران مبادئ معيّنةً لاستنتاج المعاني غير المعلنة، بناءً على ما يُقال، وكيف يُقال، وفي أي سياق. هذه العمليّة تجعل لغة التّخاطب مرنةً وقويّةً في التّواصل الإنسانيّ، وقادرة على نقل مجموعة واسعة من المعلومات والمشاعر. وجديرٌ بالقول إنَّ "العمل بمفهوم الاستلزام الحواريّ لا يُؤخذ به في التّواصل إلّا في حالات يتعذّر الأخذ فيها بالمعنى الحرفي المباشر"(العياشي،116).

ويشير غرايس كذلك إلى وجود مبادئ أخرى، مثل المبادئ الجماليّة، والاجتماعيّة، والأخلاقيّة، ويجمعها تحت مبدأ (كُن متأدِّبًا)، وهي كذلك يمكن أن توّلد استلزامات غير وضعيّة(غرايس،620). لكنّهُ لم يُفصِّل في شرحها.

وللتّوصل إلى الاستلزام الحواريّ يضع غرايس آلياتٍ ومبادئَ مُساعِدة، هي(غرايس،625):

- المعنى الوضعي للكلمات المستعملة.
- قواعد مبدأ التّعاون.
- السّياق اللغويّ للقول.
- معطيات أخرى متّصلة بالمعارف المحصَّلة سلفًا، وافتراض أن المعطيات المذكورة قد توّفرت لجميع المشاركين في المحادثة.

فهذه المبادئ يمكن أن تهدي المُخاطَب إلى وجود استلزامٍ حواريٍّ في الخِطاب، وبناءً عليها يهتدي إلى المعاني الضمنية غير المُصرّح بها.

وقد قوبل مبدأ التّعاون عند غرايس بانتقاداتٍ كثيرةٍ، لأنّه ركّز على الجانب التبليغيّ في الخطاب، وأهمل الجانب التهذيبيّ (طه، 1998،239)، رغم أنّه ذكر دور قواعد التّأدّب والقواعد الأخلاقيّة، وإن لم يشرحها بالتّفصيل أو يمثّل لها، إلا أنّ ذكرَها يعني أنّه مُدْرِكٌ لها وغير غافلٍ لأهميّتها، لذا أُضيفت إلى مبدأ التّعاون قواعد جديدة، هي:

1. مبدأ التّأدّب: صاغته (روبن لا يكوف)، "ويقضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التّهذيب، ما لا يقلّ عمّا يلتزمان به من ضوابط التّبليغ"(العياشي،119). وتفرّعت من هذا المبدأ **قاعدة التّعفف** (لا تفرض نفسك على المخاطب)، وتسعى القاعدة إلى حفظ المسافة بين المتكلم والمخاطب، من خلال تجنّب الصيغ ذات الدّلالة الوجدانية، والاحتراز من استعمال عبارات الطلب المباشر (طه، 241). **وقاعدة التّشكيك** (لتجعل المخاطب يختار بنفسه)، وتقتضي هذه القاعدة "أن يتجنّب المتكلّم أساليب التقرير، ويأخذ بأساليب الاستفهام، كما لو كان مُتشكّكًا في مقاصده، بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرارات" (طه،241) **وقاعدة التّودّد** (لتظهر الودّ للمخاطب) (العياشي،119)، من خلال تعزيز مشاعر الراحة والمودّة لدى المُخاطَب.

2.مبدأ التهذّب الأقصى، وضعه (جورج ليتش)، وقواعده: قلّل من الكلام غير المهذّب، أكثر من الكلام المهذّب (العياشي،121)، وتفرّع عنه عددٌ

من القواعد، هي: قاعدة اللباقة، قاعدة السّخاء، قاعدة الاستحسان، قاعدة التّواضع، قاعدة الاتّفاق، قاعدة التّعاطف. وهذه القواعد هي "بمثابة خطط ترفع كل ما من شأنه أن يوقع في النزاع أو يمنع من التّعاون"(طه،247)

3.مبدأ التّواجه: وهذا المبدأ أضافه (براون) و(ليفنسون)، ويقوم على مفهوم الوجه، الذي يمثّل الصورة العامة للشخص، والقيمة الاجتماعية له، ومفهوم التّهديد. إذ "يرى الباحثان أنّ من الأقوال التي تنزل في التّداوليّات منزلة الأعمال ما يُهدّد الوجه تهديدًا ذاتيًّا، وهي الأقوال التي تعوق بطبيعتها إرادات المتكلّم أو المستمع في دفع الاعتراض وجلب الاعتراف"(طه،243). فعلى المتحاورين المحافظة على الوجه الاجتماعيّ في أثناء الحوار، وذلك بألا يُجبر المُخاطب على قول شيءٍ لا يريده من خلال طريقة التّحدث معه.

4. **مبدأ التّصديق**، صاغه طه عبد الرحمن على النحو التالي: لا تقل لغيرك قولًا لا يصدّقه فعلك (طه،249).

في المبحث الآتي، تطبيق لنظرية الاستلزام الحواريّ في الخطاب التّواصلي بين الله ﷻ وإبليس، للوقوف على مواضع تحقّق القواعد السّابقة ومواضع خرقها، وبحثٌ في المعاني المستلزمة الناتجة من انتهاك قواعد الحوار، والمعاني الناتجة عن الاستلزام النّموذجيّ.

المبحث الثاني: الاستلزامِ الحواريّ في الخِطابِ التّواصُليّ بيْنَ اللهِ و إبليس

الحوار من اللسانيّات التّداوليّة المهمة التي تميّزت بها النُّصوص القرآنيّة، وقد جاء في القرآن الكريم بطرقٍ متعدّدة وفي سياقات مختلفة لتحقيق أهداف متنوّعة، منها ترسيخ المعاني والمفاهيم الدينيّة والأخلاقيّة، وتقديم الحجج والبراهين بأسلوبٍ مقنعٍ، وتوضيح العقائد بشكلٍ يسهّل على العقل فهمها واستيعابها.

ويظهر الحوار في القرآن الكريم، بوصفه ممارسة تواصليّة، وَتفاعلاتٍ لغويّةً تتضمّن مجموعةً من الأفعال الكلاميّة، مثل: السّؤال والإجابة، والأمر والنَّهْي، والطلب والعرض، وغيرها، هذه الأفعال الكلاميّة تُظهر الدَّور الكبير الذي تقوم به اللغة، فهي ليست ناقلًا للمعلومات فقط، بل هي أداةٌ لتحقيق أهداف تواصليّة محدّدة، مثل إقناع الآخر، وطلب المساعدة، وتقديم النُّصح، وغيرها من الوظائف. علاوة على ذلك، يُظهِر الحوار في القرآن الكريم استخدام اللغة في سياقات تواصليّة متنوّعة، ويعكس العلاقات بين الشَّخصيّات المختلفة، ويستخدم إستراتيجيّات لغويّة متنوّعة لتحقيق تأثيرات معينة، وهو ما يُعد جوهر الدّراسات التّداوليّة.

وقد تنوّعت الحوارات في القرآن الكريم كثيرًا، فمنها حوار الإنسان مع ذاته، وحوارُ الله مع الملائكة، ومع آدم عليه السلام، ومع الأنبياء عليهم السّلام، وحوارُ الأنبياء لأقوامهم، وحوار الله لإبليس، وهو من أهم الحوارات في القرآن الكريم، لأنَّهُ تكرّر في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوبٍ، فسورة البقرة كشفت عن هذا الحوار سردًا، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة،34)، وكذلك في سورة طه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾(طه،116)، فهذه المواضع وضّحت أنّ هناك حوارًا كان بين الله تعالى وإبليس، ووضحّت رفض إبليس واستكباره، أمّا في الوحدات الحواريّة الّتي هي موضع هذه الدراسة، فنجد أنّ الخطاب حاضرٌ بعناصره كلّها. وقد رتّبتُ آيات الخطاب حَسْب ترتيب ورود السّور في القرآن الكريم، وارتأيت أن أعرضها بهذا التّقسيم الحواريّ ليُبيّن أطراف الخطاب، على هدي الباحثة جنان البلداوي في كتابها (الاستلزام الحواريّ نحو مقاربة تداوليّة معرفيّة للخطاب القرآنيّ)، مِمّا يُسهّل تحليلها في الأسطر اللّاحقة:

1. **<u>الحوار الأول: سورة الأعراف (الآية 12 إلى الآية 18)</u>**

- قال تعالى مُخاطِبًا إبليس: ﴿قالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(12) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ(13)﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(14)﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ(15)﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ(18) ﴾

2. **الحوار الثّاني: (سورة الحجر) (الآيات 32-42)**

- قال تعالى: ﴿قالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ(33)﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ(35)﴾
- قال تعالى عن ابليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(36) ﴾
- قال تعالى: ﴿قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (37) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(38) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(40) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42)﴾

3. **الحوار الثّالث: (سورة الإسراء) (الآيات 61-65)**

- قال تعالى: ﴿وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ(60) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(61) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا(62) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) ﴾

4. **الحوار الرّابع: (سورة ص) (الآيات 75- 83)**

- قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(75) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(76) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ(78) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(79) ﴾
- قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(81) ﴾
- قال تعالى عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(83) ﴾

تكشف هذه الحوارات القرآنية أسباب ومظاهر كبر إبليس وعصيانه لربه، وتُحذّر البشر من إغوائه بعد أن رفض هدى الله وأصرَّ على الضّلالة، كما تؤكّد فضل عباد الله المخلصين الذين لا سلطان لإبليس عليهم. وعند تحليل هذه الوحدات الحواريّة وفق نظريّة الاستلزام الحواريّ، نجد أنّ الاستلزام الحواريّ قد تحقّق فيها من خلال خرق قاعدة أو أكثر من قواعد مبدأ التّعاون، أو عدم الخرق وهو ما أسميناه بالاستلزام النموذجيّ. وفي الأسطر الآتية تفصيل ذلك.

أوّلًا: الاستلزام الناتج عن خرق قواعد غرايس.

1.خرق قاعدة النّسبة.

وقاعدتها عند غرايس، كما سبق، قل ما له صلة بالموضوع، أي: لا تخرج عن الموضوع. وإبليس خرق هذه القاعدة خرقًا واضحًا في أكثر من موضع، كالآتي:

- يسأل الله تعالى إبليس عن سبب عدم سجوده لآدم عندما أمره بذلك، مستخدمًا أداة الاستفهام (ما)، ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، وفي سورة الحجر ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ وفي سورة ص ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ وما "فللسؤال عن الجنس، تقول ما عندك؟ بمعنى أي أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: إنسان أو فرس أو كتاب، وما الكلام، وفي التنزيل ﴿فما خَطْبُكُم﴾ يعني أي أجناس الخطوب خطبكم"(السكاكي،1987،ص 310) وَطَرحُ السؤال يتطلّب جوابًا مُحدّدًا يوضّح سبب عدم السجود، لكنّ إبليس يردّ بأنه خيرٌ من آدم لأنه خُلق من نار بينما خُلق آدم من طين. "فإن قلت: كيف يكون قوله أَنا خَيْرٌ مِنْهُ جواباً لما منعك، وإنما الجواب أن يقول :منعني كذا؟ قلت :قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلّة فضله عليه، وهو أنّ أصله من نار، وأصل آدم من طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله، كأنّه يقول: من كان على هذه الصفة كان مستبعدًا أن يُؤمر بما أُمر به" (الزمخشري،1987،ص90). "ومعناه: إنّ إبليس قال إنّما لم أسجد لآدم لأنّي خير منه ومن كان خيرًا من غيره فإنّه لا يجوز أمر ذلك

الأكمل بالسّجود لذلك الأدون!"(الرازي،1420،ص208)). فإبليس لم يجب إجابةً مُباشرةً على السؤال، "فهذا من إبليس جواب على المعنى. كما تقول: لمن هذه الدار؟ فيقول المخاطب: مالكها زيد. فليس هذا عين الجواب، بل هو كلام يرجع إلى معنى الجواب." (القرطبي،ج7،ص171).

وهذا خرق لمبدأ النسبة، فإبليس أجاب جوابًا لا علاقة له بالموضوع، فأعطى معلومةً لا علاقة ظاهرةً لها مع السؤال: فـ" يُجيبُ ربَّه بجواب يرجع إلى المعنى"(التفسير الوسيط،1993، ص386)، أي أنّه "ليس بجوابٍ مُطابقٍ للسّؤال لكنّه يتضمّن الجواب إذ معناه منعني فضلي عليه لشرف عنصري على عنصره" (أبو حيان،2000،ج5، ص17). ففي سورة الأعراف، وفي سورة ص قال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، يدّعي "الخيرية والأفضلية بادعاء المادة المخلوق منها كل منهما" (أبو حيان،ج6،ص 477)، أما في سورة الإسراء ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، وفي سورة الحجر ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ فيكتفي بالإشارة إلى المادة التي خُلق منها آدم عليه السلام، وهذا الخروج عن قاعدة النسبة يؤدّي إلى معنى مستلزم، هو الاستكبار، فهو يرى نفسه أفضل من سيدّنا آدم عليه السلام، ما يمنعه عن السجود له.

يتكرّر خرق قاعدة النسبة عندما يأمر الله إبليس بالهبوط من الجنة بسبب تكبّره (فَاهْبِطْ)، والخروج منها (اخْرُجْ) ويخبره بأنّه رجيم وملعون، والأمرُ "استعمال صيغ مخصوصة على سبيل الاستعلاء"(السكاكي،316)، "ولا شبهة في أن طلب المتصوّر على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل"(السكاكي،318)، لكنّ إبليس لا يفعل، ولا يُنفّذُ الأمر الإلهيَّ فورًا، بل يتلكّأ في التّنفيذِ، ويَردُّ على الأَمرَينِ الإلهيَّيْنِ بأمرٍ آخر، (أَنْظِرْنِي)، طالبًا من الله أن يؤخّره ويمهله حتّى يوم القيامة، فلا يميته، ولم يكن في خطاب الله تعالى ما يستدعي هذا الردّ من إبليس، فردّه مستخدمًا أسلوب الأمر على أمرٍ من الله كان يستوجب منه التنفيذ، فردّه بذلك لم يكن مناسبًا، وفيه خرق لقاعدة النسبة، وخروج إلى معاني أخرى للأمر إعلان التّحدّي.

2.خرق قاعدة الكيفيّة.

وقاعدتاها عند غرايس – كما سبق توضيحه - هما: لا تقل ما تعتقد أنه خطأ، لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه.

وقد خرق إبليس هاتين القاعدتين، ففي حواره مع الله تعالى، يطلق عبارات يعرف خطأها، وعبارات لا يملك دليلًا عليها:

- ففي قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، حُكْمٌ يلزمه الدّليل، بالإضافة إلى اشتماله على مغالطة منطقية، فآدم ليس مجرد طينٍ، وإبليس يعلم أنَّه خُلق بأمر الله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص،75)، وأنّ الله تعالى نفخ فيه من روحه، وقد ذُكرت هذه المعلومة في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. لكنّ إبليس "رأى أنّ النّار أشرف من الطّين"(القرطبي،ج7،ص171). وهذا ادّعاء باطل من إبليس قائم على رأيه الذي يذهب فيه بأنه أفضل من آدم، لأنّ آدم عليه السلام خُلق بأمر الله، ولا يليق للمخلوق أن يعصي خالقه، "قال ابن عباس والحسن وابن سيرين :أول من قاس إبليس فأخطأ القياس. فمن قاس الدين برأيه قرنه مع إبليس (القرطبي، ج7، ص171)، إذن فردّ إبليس كان مُضلِّلًا وغير صادق، ومُتنافٍ مع قواعد التّعاون والصدّق التي تقتضيها مبادئ غرايس.
- يظهر خرق قاعدة الكيفية أيضًا في إعلان إبليس نيته في إغواء البشر جميعًا باستثناء عباد الله المخلصين، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ وهذا ادّعاء كاذب وغير صادق، لأنّه لا يملك القدرة على معرفة من هم عباد الله المخلصون بالتّحديد. فهو هنا يتحدّث بما لا دليل له عليه، فالمعنى المستلزم هنا هو التهديد.
- يتكرّر خرق قاعدة الكيفيّة في قول إبليس ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فهو ما زال يهدّد ويتوّعد بما ليس له القدرة عليه، و(لأحتنكنَّ) أي "لأستأصلنّهم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا، وهو من الحنك"(الزمخشري،577). وذلك ممّا ليس لإبليس عليه دليل، "إن قلت :من أين علم أن ذلك يتسهّل له وهو من الغيب؟ قلت :إمّا أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به، أو خرجه من قولهم :أتجعل فيها من يفسد فيها، أو نظر إليه فتوسّم في مخايله أنه خلق شهوانيّ. وقيل: قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم، والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة" (الزمخشري،577).
- وفي قول إبليس ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، خروج عن مبدأ الكيفية أيضًا، إذ نسب الغواية إلى الله سبحانه وتعالى، وكأنه يبرّئ نفسه ويحمّل الله مسؤولية انحرافه.
-

3.خرق قاعدة الكمّ.

- تنصّ قاعدة الكم على أن تكون مساهمة المخاطَب مفيدة على قدر الحاجة، لا أقل ولا أكثر مما هو مطلوب، لكنّ إبليس يطيلُ في ردوده على خطاب الله تعالى، فعندما أمره الله تعالى بالهبوط من الجنة والخروج منها، ردَّ ردًّا طويلًا:﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ،

ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وفي هذا الردّ خرق واضح لمبدأ الكمّ، يستلزم أنّه خرج إلى إعلان التحدي، وتهديد بني آدم، بإضلالهم وإغوائهم.

- يتكرّر هذا الخرق للقاعدة في الحوارات الأخرى، مما يكشف شخصية إبليس العنيدة، والغاضبة، ففي سورة الحجر يقول: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، وفي الإسراء يقول: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وفي سورة (ص) يقول: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، وهذه أدلّة واضحة على أنّ إبليس خرق مبدأ الكمّ، وهي تدلّ على تكبّره وما يحمله من حقدٍ تجاه بني آدم وذريّته، أعماه عن الالتزام بالكمّ في ردّه على الله تعالى، فراح يهدّد ويتوعّد.

- **4.خرق قاعدة الطريقة.**

قاعدة الطريقة تقتضي الوضوح وتجنب الغموض، واللبس، وهذا ما كان إبليس بعيدًا عنه في خطابه مع الله تعالى، ويتّضح هذا الحكم من الأمثلة الآتية:

1. **الغموض وعدم الوضوح:**

- فإبليس يلجأ إلى الغموض، إذ يستخدم كلمة مثل (لَأَحْتَنِكَنَّ)، أي "لأستأصلنّهم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا، وهو من الحنك"(الزمخشري،577)، وتعدّ من غريب القرآن كما جاء في كتاب لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، وغريب القرآن للسجستاني، وكتاب تحفة الأديب بما في القرآن من غريب.
- جانَبَ إبليس الوضوح في ردّه على الأمر الإلهيّ، فالله ﷻ يأمره والملائكة بالسّجود لآدم عليه السلام ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ففي الوقت الذي تمتثل فيه الملائكة جميعها لهذا الأمر الإلهيّ، بتنفيذه والخضوع لله تعالى سجودًا ﴿فَسَجَدُوا﴾، يردّ إبليس باستفهام مراوغ:﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، ففي الإجابة عن السؤال بسؤالٍ بعدٌ عن الوضوح، وهذا الرد الذي يحمل في ظاهره سؤالًا، إنما هو رفض مغلّف بسؤال، مما يستلزم خروج معنى السؤال إلى معنى آخر وهو النّفي والاستكبار، و"النفي بطريق الاستفهام أقوى دلالة في معنى النّفي؛ لأنَّ النّفي بالاستفهام فيه معنى أنَّ المخاطب سبق إلى النّفي، فكان النّفي من القائل، والإقرار به من المخاطب"(أبوزهرة،158). وهذا ما يدلّ على خبث إبليس ومراوغته، فهو لا ينفي مباشرة، بل يأتي بالنفي عن طريق الاستفهام، في محاولةٍ لأن يصدر النّفي من المخاطَب، الله -عزَّ وجلّ-.

2. **الإطالة والبعد عن الإيجاز:**

- فإبليس عندما يهدّد ويتوعّد، يلجأ إلى الإطالة، وبعد عن الإيجاز، يتجلّى ذلك في قوله في سورة الأعراف ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، في هذه الإطالة خرق للقاعدة، ممّا يوجب معنىً مستلزمًا وهو تهديد بني آدم، وتوعّدهم بالإغواء.
- هذا الخرق لقاعدة الكم ليس مجرد خروج عن القاعدة، بل هو وسيلة تعبيرية ذات دلالة بلاغيّة. فالإطناب في ردود إبليس لا يعكس التهديد فحسب، بل أيضًا العناد والمكابرة والتحدي. ويكشف عن حالة الاضطراب النفسي، والغضب الذي يعيشها إبليس، مما يجعله يكثر من التفاصيل في خطابه العدواني.

وبالإضافة إلى خرق إبليس لمبادئ التّعاون التي وضعها غرايس، خرق كذلك مبدأ التّأدب، ومبدأ التّهذّب الأقصى، وتفصيل ذلك في الأسطر الآتية:

1. **خرق مبدأ التأدّب.**

ومبدأ التّأدب، كما سبق، تتفرّع عنه ثلاث قواعد: قاعدة التّودّد، وقاعدة التّشكّك، وقاعدة التّعفّف. فإذا أتينا إلى تطبيقها في الحوارات السّابقة يتّضح لنا أن إبليس خرق قاعدة التّودّد مع الله، فخطابه لا يظهر أيّ ودٍّ أو احترامٍ للخالق عزّ وجلّ، دليلُ ذلك استخدامه أسلوب القسم، في قوله ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهو يتحدّى الأمر الإلهي ويُعلن عن نيته في إغواء بني آدم، مظهرًا عدم الاحترام والتّمرّد على السّلطة الإلهيّة. ويتكرّر القسم أكثر من مرّة، ففي سورة الأعراف: لَأَقْعُدَنَّ – لَآتِيَنَّهُم، وفي سورة الحجر: لَأُزَيِّنَنَّ –لَأُغْوِيَنَّهُمْ، وفي سورة ص:لَأُغْوِيَنَّهُمْ. وهذا التكرار لأسلوب القسم يكشف عن تمرّد إبليس وحقده.

بالإضافة إلى ذلك، خرق إبليس قاعدة التّشكّك التي تقتضي أن يتجنّب المتكلم أساليب التقرير ويستخدم أساليب الاستفهام، لكنّ إبليس استخدم الكثير من أساليب التّقرير، منها ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، فهو يقرّ تقريرًا قطعيًا لا يدخله الشك بأنه الأفضل. وفي قوله: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ﴾، في حين نجد أنّ هذه القاعدة تتحقّق في قوله تعالى في سورة (ص): ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ فالله تعالى

يستخدم الاستفهام ليترك لإبليس تحديد السبب الذي منعه من السجود، ويواجه نفسه بالإجابة التي لن تخرج عن هذين الخيارَيْن.

2.خرق مبدأ التّهذّب الأقصى.

ومثال على خرق إبليس لهذه القاعدة قوله ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فلا يصحّ لإبليس أن يوجّه أوامر إلى الله تعالى، فصيغ الأمر "إن استُعملت في مقام تسخط المأمور به ولّدت التهديد" (السكاكي،319)، وهذا ما أراده إبليس، فهذه الصيغة التي استخدمها في خطابه مع الله عزوجلّ خاليةٌ من اللباقة والتهذيب، ويمكنك ملاحظة ذلك من خلال الأمثلة الآتية للطلب في اللغة العربية:

أنظرني – أريد أن تنظرني – هل تستطيع أن تنظرني – ليتك تنظرني.

فلا شكَّ أنَّ الجملة الرابعة هي أكثر الجمل لباقةً، "لأنّها تظهر عدم طمع المتكلم في وقوع المطلوب، حتّى إذا لم يقع هذا المطلوب من المخاطب، لم يؤدّ ذلك إلى تنازع، أما إذا وقع فإنه يكون بمنزلة تفضّل منه على المتكلم، فيكون المُخاطب قد مُنحَ النّهاية في التخيير"(طه، 247). لكنّ إبليس يستخدم أقل أساليب الطلب تهذيبًا في حضرة الخالق عزّ وجلّ، مما يعكس جرأته وتعدّيه في الخطاب مع الله، وإعلانه التحدي.

ثانيًا: الاستلزام النموذجيّ.

في حين خرق إبليس مبادئ التعاون في خطابه مع الله -عزوجل-، نجد صياغةً أخرى مقابلة، ومفارقة في خطاب الله حيث تحققت مبادئ التعاون، وهو ما يُعرف عند غرايس بالاستلزام النموذجيّ، خرج في بعض مواضعه عن معانيه إلى معانٍ مستلزمة، ونلاحظ تجلي ذلك في مواضع الخطاب الآتية:

- يسأل الله تعالى إبليس عن سبب عدم سجوده لآدم عندما أمره بذلك، مستخدمًا أداة الاستفهام (ما)، ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، وفي سورة الحجر ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ وفي سورة (ص) ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾، والله تعالى يسأل إبليس عن السّبب الذي منعه من السجود. "وإجراء الاستفهام على الأصل يقتضي طلب العلم مما ليس معلومًا ممكن العلم به" وهو عزّ وجلّ أعلم بالأسباب التي دفعت إبليس إلى عدم السّجود، وهي لا تخرج عن أحد هذين السّببين:﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، والسؤال جاء هنا بـ(ما) "وما للاستفهام، وهو استفهام ظاهره حقيقيّ، ومشوب بتوبيخ، والمقصود من الاستفهام إظهار مقصد إبليس للملائكة" (التونسي،1984،39)، فبذلك خَرجَ الاستفهام من معناه الأصلي إلى معنى ضمنيّ/ مستلزم وهو الإنكار والتّوبيخ، فالله تعالى يُنكر على إبليس عدم خضوعه لأمره، واستكباره. "فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟ قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه، لما رأى أنّ سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب" (الزمخشري،89).
- أمر الله تعالى الملائكة بأمر واضح وصريح ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ متوقعاً منهم الامتثال والإذعان لأمره، وهذا ما حدث مباشرةً دون تردّدٍ منهم:﴿فَسَجَدوا﴾.
- الوضوح في خطاب الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿قالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، تبعها زيادة في التوضيح (إِذْ أَمَرْتُكَ).
- الإيجاز في خطاب الله تعالى لإبليس في قوله
- استخدم الله تعالى أسلوب الأمر، الذي لم يخرج عن معناه الأصلي، وهو طلب فعل شيء على وجه الاستعلاء، في قوله: اهْبِطْ، فَاخْرُجْ.
- أسلوب الأمر كذلك في سورة الإسراء ﴿اذْهَبْ﴾، فليس "من الذهاب للذي هو نقيض المجيء، إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلانًا وتخلية"(الزمخشري،577)، وبذلك خرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معنى مستلزم.
- ردّ الله تعالى على إبليس ردًا واضحًا موجزًا بقدر المطلوب عندما طلب أن يمهله إلى يوم البعث ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ إذ ردّ الله تعالى قائلًا: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي سورة الحجر وسورة (ص) زيادة في توضيح المهلة بقوله تعالى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، فهنا تحقّق الاستلزام النموذجيّ، ولكنّ المعنى خرج عن معناه الأصلي وهو الإخبار؛ إلى معنى مستلزم وهو التهديد.
- الأوامر التي وجّهها الله تعالى إلى إبليس في الآية الكريمة ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ خرجت من معانيها الأصليّة إلى معانٍ مستلزمة، فالله تعالى لا يأمر إبليس بأن يتسلّط على عباده، فهذه الأوامر من "الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية، كما قال للعصاة :اعملوا ما شئتم"(الزمخشري،578)، فالمعنى المستلزم هنا هو التهديد.

نخلص من ذلك إلى أنّ هناك خروجًا واضحًا في حوار إبليس مع الله عزّ وجلّ، على مبادئ التّعاون، وخرق قواعده، فقد انتهك إبليس مبدأ الكيفيّة بالكذب، وادّعائه أمورًا لا دليل لديه عليها، وانتهك كذلك مبدأ النّسبة، فخرج عن موضوع الحديث مع الله تعالى في أكثر من موضع، وانتهك مبدأ الطّريقة بعدم الوضوح والاستعمال المجازيّ لبعض الألفاظ، وفي تحدّيه الواضح للخالق ورفضه الامتثال لأوامره، وتهديده بإغواء البشر، وقد خرج عن مبدأ التأدّب، وجانبَ الصدق في مواضع من الخطاب، بادّعاءاته الكاذبة.

في المقابل نجد تحقّق الاستلزام النموذجي، في الخطاب الذي وجّهه الله لإبليس، فأوامر الله تعالى لإبليس كانت واضحة سواءً في توجيه الاستفهام، مثل ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، أو في توجيه الأمر﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، و﴿اهْبِطْ﴾، و﴿فَاخْرُجْ﴾، وقد خرجت بعض المعاني في هذا الخطاب إلى معانٍ مستلزمة حسب السّياق الذي جاءت فيه. منها التهديد والتّوبيخ.

وبذلك يمكن القول بأن التحليل التداولي لهذا الحوار يُظهر تجاوز إبليس لجميع قواعد التواصل الفعّال مع الخالق -عزّ وجلّ- مقابل خطابٍ إلهي قائم على الاستلزام النموذجي، لم تُخرق فيه أيٌّ من مبادئ التعاون. وهذا يُبرز أحد أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، حيث يُوظَّف الحوار الإلهي لإظهار الفارق الجوهري بين الخطاب المتمرّد القائم على المغالطات، والخطاب الإلهي المتّزن القائم على الحقيقة والتوجيه والتوبيخ المستحق.

كما أن هذا التحليل يُبرز قيمة التداوليات في الكشف عن استراتيجيات الخطاب، ويؤكد أن مخالفة قواعد التعاون تكشف عن موقف المتكلّم وطبيعته النفسية والتواصلية، وهو ما تجلى بوضوح في موقف إبليس الرافض للأمر الإلهي.

الخاتمة

تضمّن هذا البحث دراسةً تداوليّةً في نظريّة الاستلزام الحواريّ في الخطاب التّواصليّ بين الله وإبليس، للإجابة عن أسئلة البحث الجوهريّة وهي: كيف ظهر الاستلزام الحواريّ في الخطاب بين الله ﷻ وإبليس، وما المعاني المستلزمة الناتجة من خرق قواعد مبدأ التّعاون؟ ما المعاني المستلزمة النّاتجة عن الاستلزام النموذجيّ؟ كيف كشف الاستلزام الحواريّ عن أخلاق إبليس؟

توصّلت بعد البحث إلى النتائج الآتية:

1. خرج المعنى الأصلي في الخطاب بين الله ﷻ وإبليس إلى معانٍ مستلزمة، هي: الاستنكار، والتّهديد، والتحدي.
2. تجاوز إبليس في خطابه لله تعالى قواعد التّواصل الفعّال، وخرق مبادئ التّعاون بشكلٍ واضحٍ.
3. خرق إبليس في خطابه لله تعالى مبدأ التّأدّب، ومبدأ التّهذيب، بعدم تنفيذه أوامر الله تعالى، وإظهار الغطرسة والاستعلاء.
4. تدور المعاني المستلزمة في حوار إبليس مع الله تعالى حول الاستنكار، والتّهديد، وفيها إظهارٌ للعصيانِ والتّكبّر.
5. تميّز خطاب الله تعالى لإبليس بالوضوح والبيان، متضمنًا دلالات تكشفها سياقات الآيات، مثل التحذير والوعيد، مما يبرز عدالة الخطاب الإلهي في الردّ على اعتراضات إبليس.
6. كشف الاستلزام الحواريّ كبرياء إبليس وتكبّره، وأظهر غروره وعصيانه، وعرّى شخصيّته وأخلاقه ونفسيّته.

وأوصي بعد هذا البحث بأهميّة دراسة الحوار القرآنيّ، بأشكاله كلّها، وفق النظريّات الحديثة، للوقوف على المعاني المستلزمة، وأثرها في توجيه الخطاب، والتأثير على المتلقّي. ولإظهار مدى انسجام الحوار القرآنيّ مع مبادئ النظريّات الحديثة، لنؤسس نظريّات عربيّة حديثة قائمة على لغة القرآن الكريم، من منظورٍ لسانيّ وتداوليّ.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

أبو حيّان، م. (2000). *البحر المحيط في التفسير*. بيروت: دار الفكر.

أبو زهرة، م. (د.ت). *المعجزة الكبرى القرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي.

أدراوي، الع. (2011). *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*. الرباط: دار الأمان.

أوستين. (د.ت). *كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟ (ع. قينين، ترجمة)*. المغرب: أفريقيا الشرق.

ابن عاشور، الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

الرازي، ف. د. (1420ه). *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزمخشري، م. ب. ع. (1987). *الكشاف*. بيروت: دار الكتاب.

السامرائي، ف. ص. (د.ت). *أسرار البيان في التعبير القرآني*.

السكاكي، ي. (1987). *مفتاح العلوم* (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، م. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (ج7). القاهرة: دار الكتب المصرية.

عبد الرحمن، ط. (1998). *اللسان والميزان*. لبنان: المركز الثقافي العربي.

غرايس، ب. (2012). *المنطق والمحادثة: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية (ع. مجدوب، تحرير)*. تونس: بيت الحكمة.

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. (1993). *التفسير الوسيط*. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

النعماني، س. د. (1998). *اللباب في علوم الكتاب*. لبنان: دار الكتب العلمية.
نعمان، ب. (د.ت). *المدارس اللسانيّة المعاصرة*. بيروت: دار الآداب..

References

The Holy Qur'an.
Abu Hayyan, M. (2000). *Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir*. Beirut: Dar Al-Fikr.
Abdurrahman, T. (1998). *Al-Lisan wa Al-Mizan*. Lebanon: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-Arabi.
Abu Zahra, M. (n.d.). *Al-Mu'jiza al-Kubra al-Qur'an*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
Adrawi, A. (2011). *Al-Istilzam Al-Hiwari fi Al-Tadawul Al-Lisani*. Rabat: Dar Al-Amane.
Al-Numani, S. (1998). *Al-Lubab fi Ulum Al-Kitab*. Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Razi, F. D. (1420 AH). *Mafatih Al-Ghayb*. Beirut: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi.
Al-Sakkaki, Y. (1987). *Miftah Al-Ulum* (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Samarrai, F. S. (n.d.). *Asrar Al-Bayan fi Al-Ta'bir Al-Qur'ani*.
Ibn Ashur, A. T. (1984). *Al-Tahrir wa Al-Tanwir*. Tunisia: Al-Dar Al-Tunisiyya Lil-Nashr.
Al-Zamakhshari, M. I. A. (1987). *Al-Kashaf*. Beirut: Dar Al-Kitab.
Austin, J. L. (n.d.). *How to do things with words* (A. Qeenin, Trans.). Morocco: Africa Al-Sharq.
Grice, P. (2012). Logic and conversation. In E. Majdoub (Ed.), *Itlalat Ala Al-Nazariyat Al-Lisaniya wa Al-Dalaliya*. Tunisia: Bayt Al-Hikma.
Islamic Research Complex at Al-Azhar. (1993). *Al-Tafsir Al-Wasit*. Cairo: Al-Hay'ah Al-Ammah Li Shu'un Al-Matabi' Al-Amiriyyah.
Nu'man, B. (n.d.). *Al-Madaris Al-Lisaniyya Al-Mu'asira*. Beirut: Dar Al-Adab..